



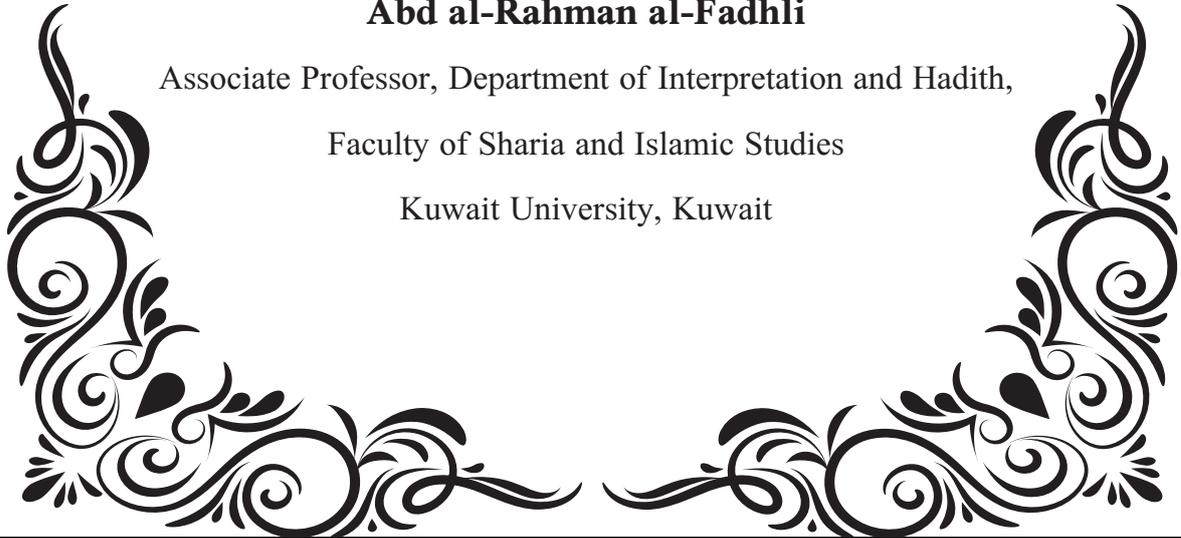
نقض القرآن الكريم للتعددية
الدينية، ونحلة الديانة الإبراهيمية
(دراسة تفسيرية تحليلية)

The Qur'an's refutation of the Abrahamic religion
An analytical study

عبد الرحمن يتيم الفضلي
الأستاذ المشارك بقسم التفسير والحديث بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت - الكويت -

Abd al-Rahman al-Fadhli

Associate Professor, Department of Interpretation and Hadith,
Faculty of Sharia and Islamic Studies
Kuwait University, Kuwait



This research deals with one of the most important current issues, which is the call for the so-called «Abrahamic religion» that stems from the idea of unifying the three religions - Islam, Judaism and Christianity - under a new universal religion, and handles the claim that Abraham, peace be upon him, had a comprehensive religion called the «Abrahamic religion».

This call was just a false allegation that aimed at undermining the Islamic Ummah's constants and fateful issues as part of ancient conflict between Muslims and their enemies.

Therefore, it is necessary for us to refute these allegations, warn the nation and reveal the motives in line with the Holy Qur'an, which is the holy book of the nation.

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوعاً من أهم الموضوعات الراهنة، وهو الدعوة إلى ما يسمى بـ «الديانة الإبراهيمية» التي تنطلق من فكرة توحيد الشرائع الثلاث - الإسلام واليهودية والنصرانية - تحت دين عالمي جديد، والزعم بأن إبراهيم عليه السلام كان على دين جامع يسمى «الديني الإبراهيمي».

وقد انطلقت هذه الدعوة بلسان كذوب يُدّلس على الأمة ثوابتها، ويستهدف قضاياها المصيرية، ضمن حلقات الصراع القديم بين المسلمين وأعدائهم. فكان لزاماً علينا أن نواجه هذه الفرية، محذرين الأمة من هذا الخطر الداهم، كاشفين عن الباعث لهذه الدعوة، والغاية التي ترمي إليها، ومدى زيف شعاراتها، وذلك بالعودة إلى النبع الصافي وهو القرآن الكريم كتاب الأمة الخالد.

* * *

* * *

بأن إبراهيم عليه السلام كان على دين جامع للإسلام واليهودية والنصرانية.

وفي شهر فبراير عام ٢٠٢٠ م عقد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ورابطة علماء المسلمين ورابطة المغرب العربي مؤتمراً عنوانه «موقف الأمة من الديانة الإبراهيمية».

وهذا البحث يتناول هذه القضية من منظور قرآني مبنياً موقف القرآن الكريم من هذه الدعوة، وعلاقتها بقضية التعددية الدينية، وموقف الإسلام من الملل الأخرى، وذلك من خلال النظر في الآيات التي تحدثت عن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأهل الكتاب، مُقدماً لذلك بمهاد تاريخي يتناول جذور هذه الدعوة وبدايتها والجهات التي دعمتها وأبرز دعواتها وخطرها ليس على المسلمين فقط وإنما على الإنسانية جمعاء. وليس من مبادئ البحث العلمي أن أقرر موقفي في بداية البحث قبل أن أترسل في أبوابه ومباحثه وإنما يكون ذلك بعد أن أسوق للقارئ الحجج الظاهرة والبراهين القاطعة على صواب ما ذهب إليه البحث.

هذا .. ويطيب لي أن أقدم الشكر الجزيل لقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما قاموا به من دعم ماليٍّ ومعنويٍّ لهذا البحث، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأسأل الله التوفيق والتسديد، والمَدَد والتأييد، وأسأله وهو خير مسئول، أن يُمّن علينا بالإخلاص فيما نقول، وأن يجعل عاقبة هذا القول القبول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهداً، ومُبَشِّراً، ونذيراً، صلاةً وسلاماً متلازمين أبداً إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد ظهرت في الآونة الأخيرة نخلة تُدعى بـ «الديانة الإبراهيمية» ويرى الداعون إليها أن البشرية اليوم بحاجة إلى فكرة تجمع بينهم لتحقيق التعايش السلمي، ووقف حالة الاستقطاب، وذلك بتوحيد الشرائع الثلاث الإسلام واليهودية والنصرانية تحت دين جديد يسمى «الديانة الإبراهيمية». وعلى الرغم من أنه ليس هناك إعلان رسمي لقيام هذه الديانة الجديدة، إذ ليس لها أسس أو أتباع أو كتاب، وإنما هي مشروع بدأ الحديث عنه يتصاعد بالتزامن مع الدعوة إلى التطبيع مع العدو الصهيوني والتعايش معه.

والهدف المعلن لهذا المشروع هو التركيز على المشترك بين الديانات والتغاضي عن ما يمكن أن يسبب النزاع والحروب بين الشعوب.

واتخذ دعاة هذه النحلة من تكريم القرآن الكريم لنبي الله إبراهيم عليه السلام ومكانته العظيمة في الديانات الثلاث، سبيلاً للقول

إشكالية البحث وأسئلته:

مع صحيح الاعتقاد الواجب على كل مسلم^(١).
٣- التأكيد على كفاية القرآن الكريم لنقض كل دعوة تناقض دعوة التوحيد الخالص، مهما تغيرت المصطلحات البراقة التي تخفي وراءها وجهاً شاحباً قبيحاً.

كم هي عديدة الأسئلة التي يتعين علينا التصدي لها بين يدي تناول «نحلة الديانة الإبراهيمية». فأول تلك الأسئلة هي: ما موقف القرآن الكريم من إشكالية التعددية الدينية، وهي ذات الفكرة التي تقوم عليها «نحلة الديانة الإبراهيمية» وكيف كانت آيات القرآن الكريم صريحة في نقض هذه الدعوة وأمثالها.

أهداف وسبب اختيار الموضوع:

لقد دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب أهمها:
١- حداثة الموضوع وجدته ومواكبته للأحداث الراهنة.
٢- خُفوت الأصوات المناوئة لهذه الدعوة، في ظل تكتم واضح وتعتيم مبيت لحقيقة هذه المعركة وأهدافها الخافية.
٣- التأكيد على أن طاعة أعداء الإسلام في أمر هذه النحلة المبتدعة، والقبول بها، أو الدعوة إليها- خروج من ملّة الإسلام، ومساومة على عقيدة الأمة ودينها.

وثانيها: ما موقف القرآن الكريم من التعامل مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن غيرهم من الكفار والملحدين. وثالثها: ما البُعد التاريخي لهذه الدعوة التي أطلقها أهل الكتاب قديماً بغية أن يتخلى المسلمون عن دينهم؟ وأخيراً يتساءل البحث عن الأبعاد الخطيرة لهذه الدعوة التي تتخطى كونها دعوة للشراكة السياسية أو الاقتصادية إلى الحرب الصريحة على الإسلام الذي يأبى إلا أن يكون هو وحده المهيمن على الأديان كلها، والناسخ لِمَا سبقه من شرائع؟

أهمية الموضوع:

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد مُبَيَّنًا حقيقة هذه الدعوة: (ليعلم كل مسلم عن هذه الفرية أنها فلسفية النزعة، سياسية النشأة، إلحادية الغاية، تستهدف الإسلام والمسلمين من خلال التشويش على الإسلام، وبليلة عقول المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات، والشهوات؛ ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة، تستهدف الإسلام وأخذ الثأر القديم من المسلمين عقيدة وأرضاً وملكاً) (مقال على الشبكة العنكبوتية، بعنوان: «الدعوة لوحدة الأديان في ميزان الشرع والإيمان».

تستند أهمية دراسة موضوع «نحلة الديانة الإبراهيمية» وجدارته بعناية الباحث إلي أنه:

١- يتصل بقضية مصيرية لا يمكن للأمة الإسلامية أن تراهن عليها، وهي قضية العقيدة الصحيحة.

٢- الكشف عن حقيقة هذه النحلة، وتناقضها

- ٤- حماية الناشئة وتحصين الشباب من الانحرافات والشبهات الفكرية والعقدية، فالشباب أمانة بين أيدينا سوف يسألنا الله عنها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].
- ٥- التأكيد على أن العالم الحق والداعية الواعي هو ذلك الذي لا ينزل عن قضايا أمته وأحداث عصره بل تظل هذه القضايا في وجدانه يدافع عنها مسلحاً بالقرآن الكريم، منفتحاً على الحضارات بلا ذوبان مراعيّاً للخصوصية بلا انغلاق.
- ٤- نصر دراسة موضوعية تحليلية إعداد الطالب محمد عين اليقين رسالة دكتوراه جامعة والي سانجو الإسلامية الحكومية سمارنج.
- ٤- الرسل والرسالات، للدكتور عمر سليمان الأشقر، الناشر: مكتبة الفلاح، ١٩٨٩م.
- ٥- الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، للدكتور محمد بن أحمد الخطيب، الناشر: مكتبة الأقصى، ١٩٨٦م.
- ٦- الديانات الإبراهيمية ثلاث ديانات وإله واحد، المؤلف: جميل النجار
- ٧- العرب واليهود في التاريخ، المؤلف: الدكتور أحمد نسيم سوسة، الناشر: العربي للإعلان والنشر.

الدراسات السابقة:

- لست مبالغاً إن قلت إنني لم أجد أحداً كتب حول موقف القرآن الكريم من نحلة «الديانة الإبراهيمية» نظراً لحدثة الدعوة إلى هذه النحلة، وكل ما كتب حول هذا الموضوع لا يعدو تقارير ومقالات وتوصيات لمؤتمرات عالمية أو محلية، لكن هناك عدة مؤلفات تناولت عدة جوانب منفصلة حول هذا الموضوع منها:
- ١- الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن للدكتور عز الدين عناية. دار توبقال للنشر، ٢٠١٤م.
- ٢- التعددية الدينية في فلسفة جون هيك المرتكزات المعرفية واللاهوتية ترجمة د. وجيه قانصو. دار: أفريقيا الشرق، ٢٠١٧م
- ٣- تفسير آيات التعددية الدينية لسيد حسين
- منهج البحث وخطته:
- تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث سوف يسير في أغلب مباحثه على المنهج التحليلي الذي يتناول الآيات ذات الصلة بالموضوع، كما أنه اعتمد على المنهج التاريخي عند الحديث عن الجذور التاريخية لهذا الدعوة، وكذلك المنهج الوصفي.
- وسوف يقوم الباحث بجمع النصوص الواردة في موضوع البحث، وما يتعلق بها ثم يحللها، ويدرسها بعناية، مستنبطاً منها المعاني المستفادة، وسيكون ذلك وفق الخطوات الآتية:

- جمع جل الآيات القرآنية ذات الصلة بالبحث عليها.
- المقدمة: أذكر فيها إشكالية البحث،
- تحليل واستخلاص المعاني المستفادة من
- النصوص الشرعية ذات الصلة بموضوع البحث .
- العناية بأسرار أسلوب القرآن الكريم وإبراز
- أساليبه البلاغية.
- استنباط الأحكام الشرعية المستفادة من
- الديانة الإبراهيمية:
- خلال استعراض مفردات البحث وتحليلها.
- المبحث الأول: جميع الرسل عليهم السلام
- مراعاة كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني،
- كان دينهم الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:
- مع توثيق اسم السورة، ورقم الآية.
- المطلب الأول: الإسلام دين جميع الرسل
- عزو النقول وبيان مصادرها.
- عليهم السلام.
- اعتماد رواية الصحيحين أصولاً، بذكر اسم
- الكتاب والراوي، وتحديد الكتاب والباب ورقم
- الحديث، كما تُخرَج رواية غير الصحيحين
- بيان حُكْم أئمة الحديث عليها أصولاً.
- المطلب الثاني: القرآن الكريم حَسَمَ الخلافَ
- حول دين إبراهيم عليه السلام.
- المطلب الثالث: القرآن الكريم يُبطل
- دعوى اليهود والنصارى بانتساب إبراهيم عليه
- السلام لهم.
- ذكر اسم مؤلّف الكتاب في أول موضع
- يُذكر في البحث، إلا إذا كان هناك تشابه في
- أسماء المؤلّفات فإني أذكر اسم مؤلّفها في كل
- موضع في البحث.
- المطلب الثاني: نقض القرآن الكريم لدعوى
- التعددية الدينية، وموقفه تجاه أهل الكتاب
- وغيرهم، وفيه ثلاثة مطالب:
- توثيق المعاني الاصطلاحية من كتب
- المصطلحات الخاصة بها .
- المطلب الأول: القرآن الكريم كتاب التوحيد
- والهداية.
- المطلب الثاني: القرآن الكريم ينقض دعوى
- التعددية الدينية بنسخه للشرائع السابقة.
- المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم تجاه
- أهل الكتاب وغيرهم.
- ثم الخاتمة: وفيها أهم التوصيات والنتائج
- التي أصدرها البحث.

خطة البحث:

- بعد جمع الآيات القرآنية التي تناولت
- الموضوع من جل جوانبه، رأيت أن يكون
- البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين ثم خاتمة
- يتبعها فهارس تتضمن أهم المصادر التي اعتمد

نحلاً، بالفتح: إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره وادعيته عليه. وفلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا إذا انتسب إليه^(٢).

وقال الزبيدي رحمه الله: والنحلة، بالكسر: الدعوى، ومنه الانتحال، وهو ادعاء ما لا أصل له، أو ادعاء ما لغيره^(٣).

وقال الفيروزآبادي رحمه الله: والنحلة بالكسر، والنحلة بالضم، وانتحلته وتنحله ادعاه لنفسه، وهو لغيره، ونحله القول كمنعه نسبه إليه، ونحله فلان سابه، ونحل جسمه نحولاً ذهب من مرض أو سفر، فهو ناحل ونحيل، وهي ناحلة، وأنحله الهم، والنحلة بالكسر الدعوى^(٤).

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: والانتحال: ادعاء الشيء وتناوله، ومنه يقال: فلان ينتحل الشعر^(٥).

النحلة اصطلاحاً: قال القاضي عبد النبي نكري رحمه الله: النحل: بكسر النون وفتح الحاء المهملة، جمع النحلة، وهي: ما اخترعه قوم واتفقوا عليها من غير أن يكون عليها دليل نقلي وسماع من النبي عليه السلام^(٦).

التمهيد

أولاً: تحرير الفرق بين النحلة والدين:

لعل من الضروري أن نقدم بين يدي هذا التمهيد عن تاريخ الدعوة إلى نحلة (الديانة الإبراهيمية) وأسباب ظهورها، ثم الجهات التي دعمتها، وأبرز دعاتها، أهدافها وخطرها على الإسلام والمسلمين.

بياناً للفرق الدلالي بين النحلة والدين والتعريف بهما لغة واصطلاحاً فنقول:

النحلة لغة: قال ابن فارس رحمه الله: النون والحاء واللام كلمات ثلاث: الأولى تدل على دقة وهزال، والأخرى على عطاء، والثالثة على ادعاء... والثالثة قولهم: انتحل كذا، إذا تعاطاه وادعاه. وقال قوم: انتحله، إذا ادعاه محققاً، وتنحله، إذا ادعاه مبطلاً. وليس هذا عندنا بشيء. ومعنى انتحل وتنحل عندنا سواء. والدليل على ذلك قول الأعشى:

فكيف أنا وانتحالي القوا

ف بعد المشيب كفى ذاك عارا^(١).

وقال ابن منظور رحمه الله: والنحلة: الدعوى. وانتحل فلان شعر فلان. أو قول فلان إذا ادعاه أنه قائله. وتنحله: ادعاه وهو لغيره..... ونحله القول ينحله نحلاً: نسبه إليه. ونحلته القول أنحله

(١) مقاييس اللغة (٤٠٢/٢).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٦٥٠/١١).

(٣) تاج العروس، للزبيدي (٤٦٦/٣٠).

(٤) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص/١٠٦١).

(٥) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني (ص/٧٩٥).

(٦) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، للقاضي عبد النبي نكري (٢٧٤/٣).

وكل ملة دين وليس كل دين ملة، واليهودية ملة لأن فيها شرائع، وليس الشرك ملة. وإذا أُطلق الدين فهو الطاعة العامة التي يجازى عليها بالشواب، مثل قوله تعالى «إن الدين عند الله الإسلام» وإذا قُيد اختلف دلالاته، وقد يُسمى كل واحد من الدين والملة باسم الآخر في بعض المواضع لتقارب معنييهما^(٤).

الدين اصطلاحاً: عرف علماء الدين بمعناه الاصطلاحي عدة تعريفات، منها:

قال الكفوي رحمه الله: الدين، بالكسر، في اللغة: العادة مطلقاً، وهو أوسع مجالاً، يطلق على الحق والباطل أيضاً، ويشمل أصول الشرائع وفروعها، لأنه عبارة عن وضع آلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود إلى الخير بالذات، قلبياً كان أو قلبياً، كالاقتداء والعلم والصلاة، وقد يتجاوز فيه فيطلق على الأصول خاصة فيكون بمعنى الملة، وعليه قوله تعالى: {ديناً قيماً ملة إبراهيم}، وقد يتجاوز فيه أيضاً فيطلق على الفروع خاصة، وعليه {ذلك دين القيمة} أي: الملة القيمة يعني فروع هذه الأصول، والدين منسوب إلى الله تعالى، والملة إلى الرسول، والمذهب إلى المجتهد، والملة: اسم ما شرعه الله لعباده على لسان نبيه ليتوصلوا به إلى آجل ثوابه، والدين مثلها، لكن الملة تقال باعتبار الدعاء إليه، والدين باعتبار الطاعة والانقياد له، والملة: الطريقة أيضاً،

(٤) معجم الفروق اللغوية (ص/٥٠٩).

الدين: لغةً: قال ابن فارس رحمه الله: الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد، والذل. فالدين: الطاعة، يقال دان له يدينُ ديناً، إذا أَصْحَبَ وانقاد وطاع. وقوم دينٌ، أي مُطيعون منقادون. قال الشاعر: وكان الناس إلا نحن ديناً^(١). والدين: الطاعة والملك، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يُوسُف: ٧٦] أي: في طاعته.... والدين: الجزاء، قال الله جل وعز: مالك يوم الدين، أي: الجزاء^(٢).

وقال ابن منظور رحمه الله: والدين: الجزاء والمكافأة. ودنته بفعله ديناً: جزيته، وقيل: الدين المصدر، والدين الاسم، قال: دين هذا القلب من نعم... بسقام ليس كالسقم وداينه مداينة وديانا كذلك أيضاً. ويوم الدين: يوم الجزاء. وفي المثل: كما تدين تدان أي كما تجازي تجازى أي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت، وقيل: كما تفعل يفعل بك..... والدين: العادة والشأن، تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديني أي عادتي^(٣).

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله: الدين ما يذهب إليه الإنسان ويعتقد أنه يقربه إلى الله وإن لم يكن فيه شرائع، مثل دين أهل الشرك.

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس (٣١٩/٢).

(٢) جمهرة اللغة (٦٨٨/٢)، ومجمل اللغة، لابن فارس (ص/٣٤٢).

(٣) لسان العرب (١٦٩/١٣).

ثم نقلت على أصول الشرائع، من حيث إن الأنبياء يعلمونها ويسلكونها ويسلكون من أمروا بإرشادهم بالنظر إلى الأصل، وبهذا الاعتبار لا تضاف إلا إلى النبي الذي تستند إليه، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله تعالى، ولا إلى آحاد أمة النبي، ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها، فلا يقال: ملة الله، ولا ملتي، ولا ملة

زيد، كما يقال: دين الله، وديني، ودين زيد، ولا يقال: الصلاة ملة الله، والشريعة تضاف إلى الله والنبي والأمة، وهي من حيث إنها يطاع بها تسمى ديناً، ومن حيث إنها يجتمع عليها تسمى ملة، وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض، ولهذا قيل: إنها متحدة بالذات ومتغايرة بالاعتبار، إذ الطريقة المخصوصة الثابتة عن النبي تسمى بالإيمان، من حيث إنه واجب الإذعان، وبالإسلام من حيث إنه واجب التسليم، وبالدين من حيث إنه يجزى به، وبالملة من حيث إنه مما يملى ويكتب ويجتمع عليه، وبالشريعة من حيث إنه يرد على زلال كماله المتعطشون، وبالناموس من حيث إنه أتى به الملك الذي هو الناموس، وهو جبريل عليه السلام^(١).

وقال التهانوي رحمه الله: الدين: بالكسر والسكون في اللغة يطلق على العادة والسيرة والحساب والقهر والقضاء والحكم والطاعة والحال والجزاء، ومنه { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }^(٢)

وأيضا: الدين هو ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب أو الشهادة سواءً أكان على حق كدين الإسلام أم ما جرى عليها تبديل وتغيير كدين أهل الكتاب، أم ما كانت على باطل

(٢) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١/٨١٤).
(٣) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، للدكتور سعود بن عبدالعزيز الخلف، أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية الكلية الدعوة وأصول الدين القسم العقيدة (ص/٩).

(١) الكليات، للكفوي (ص/٤٤٣).

وليس لها أصل سماوي، فإن الله تعالى خاطب أصحاب الشرائع والملل المخالفة للإسلام وسمّى ما هم عليه ديناً فقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}، وسمّى ما كان عليه المشركون من عبادة ديناً - ولاشك أنهم على كانوا على باطل - فقال: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}.

وبعد أن بيّنا معنى لفظ النحلة والدين؛ يبقى لنا أن نتساءل ما السر وراء إطلاق كلمة

«الإبراهيمية» على هذه النحلة؟ وما المغزى والهدف؟ ونجيب عن هذا السؤال بأن نقول: إن الهدف هو الانتساب إلى أبي الأنبياء خليل الله ونبيه إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وفي الانتساب إليه إضفاء شرعية على هذا المصطلح الجديد، لأن جميع الشرائع السماوية متفقة عليه، وتدعي حبه واتباعه.

وهنا أراني راغباً رغبة شديدة أن أقول: إن كثيراً من وسائل الإعلام قد لبّست على الناس وضللتهم بأن المراد بالديانة الإبراهيمية هي عبادة الله والخضوع له رغبة ورهبة على طريقة ونهج نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي يدعو إلى السلام والأمان وقبول الآخر، سواء أكان الاختلاف بينهم في الأصول أم الفروع.

ومما لبّسه الإعلام أيضاً إشاعة بعض المصطلحات بين الناس وجعلها بديلة لمصطلحات شرعية أصيلة، فمنها على سبيل المثال كلمة (الآخر) وتداولها بديلة عن

مصطلح (الكافر أو المخالف للشرعية أو اليهود أو النصراني) والقصد من ذلك نزع ما تجذّر في نفوس المسلمين من أن هذه المصطلحات تجمل في طياتها قتل الأنبياء الغدر والخيانة والكيد للإسلام أهله، وهذه الألعوبة لا تنطوي على أهل العلم المدافعين عن الدين والعقيدة. فهؤلاء الأقوال قد تلاعبوا في المصطلحات، فحاولوا خداع عوام المسلمين بأن هناك دين اسمه «الإبراهيمية».

وكذلك اختيارهم لكلمة «دين» بدلاً من (نحلة أو حزب أو جماعة) أمر متعمّد، لأن كلمة الدين تنطبع في عقول الناس بأنها وحي من الله تعالى، وهذا زيف وافتراء على الله، فإن الله تعالى لم يوح إلى نبيه إبراهيم عليه السلام بدين يجمع كل الشرائع والديانات، وذلك لأنه سابق عليهم جميعاً، وأن الله تعالى لم ينزل إلا ديناً واحداً وهو الإسلام، أما اليهودية والنصرانية إنما هي شرائع شرعها الله تعالى لعباده حسب حكمته وعلمه.

ثانياً: بداية نشأة فكرة الديانة الإبراهيمية وأسباب ظهورها وأهدافها وخطورها:

أودُّ أن أستهل حديثي بالوقوف على حقيقة لا بد من معرفتها، ألا وهي إن البذرة الخبيثة والتي تُسمّى زوراً «الديانة الإبراهيمية» ليست وليدة هذا الزمن المعاصر في ألفيته الأخيرة، بل لها جذور تاريخية قديمة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، قال تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُم

الفرنسي الآخر «روجيه جارودي» يسير على الخطى نفسها في تبني فكرة «وحدة الأديان»^(٢)، ثم أكمل هذه المسيرة الظالمة رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق «جيمي كارتر» عام: ١٩٧٨ و ١٩٧٩، عندما تم عقد اتفاقية السلام بين مصر ودولة الصهاينة، والتي تُسمى باسم «اتفاقية كامب ديفيد» وقال فيها «كارتر»: دعونا الآن نضع الحرب جانبا لنكافئ جميع أبناء إبراهيم المتعطين لسلام شامل في الشرق الأوسط، فلنستمتع الآن بمغامرة أن نصبح بشراً كاملين، وجيرانا كاملين، وحتى إخوة وأخوات. ومن أبرز من تبني فكرة «الديانة الإبراهيمية» من القادة في منطق الشرق الأوسط الرئيس المصري السابق «أنور السادات» وهذا أمر لا يخفى على متابع لخطاباته، فهو دائماً يؤكد على «أخوة العرب واليهود لأنهم أبناء إبراهيم» بل إنه سعى في إنشاء مجمع للأديان في سيناء، لتصبح فكرته واقعاً حياً، ففي السادس من أغسطس عام ١٩٨٠ وجه السادات رسالة وجاء فيها أن: «عالمنا الآن وما يدور فيه من أحداث جسام أشد ما يكون الي رمز ما، يُدكرنا بوحدة المصير الإنساني ووحدة الرسالة السماوية،

الثلاث إبراهيم أب كل المؤمنين.

(٢) تكلم روجيه جارودي (١٩١٣ - ٢٠١٢م) عن «وحدة الأديان» وقمها إلى نوعين (وحدة صغرة ووحدة كبرى) ثم ذكر أن الوحدة الصغرى، وهي (الإبراهيمية)، ويهدف من ورائها إلى توحيد الأديان التي تُعلن انتماءها إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، أي: (الإسلام والنصرانية واليهودية).

مَنْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَّنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: ١٠٩]، فلن يهدأ لهم بال ولن يقر لهم قرار إلا بعد أن يروا انسلاخ المسلمين من دينهم، واندماجهم مع أهل الكتاب في دينهم المُحَرَّف، عندها سيرضون عن الإسلام وأهله، كما قال تعالى: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠].

وفي زماننا هذا جاء ناسٌ يدعون إلى دينٍ ظاهره البناء والرحمة، وباطنه الهدم والعذاب، لا يُفَرِّقون بين الغث والسمين، ولا بين النافع والضار، بل إن بعضهم {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيَسْ أَلْمَوْلَىٰ وَلِيَسَّ الْعَشِيرِ} [الحج: ١٣]، وهذه بُغية المترصدين لدين الإسلام بالعداء والكيد.

جاء هؤلاء الظلمة بدعوى زائفة وزورٍ وبهتانٍ، شعارها الظاهر جمعُ الناس على دين واحد - اتفق على أصله الجميع - ليعم السلام في العالم، والحقيقية هو طمس الإسلام وتعاليمه وأحكامه، بل وتهميشه وجعله تبعاً لأهواء أهل الكتاب ومن تبعهم ممن ينتسب للإسلام ظاهراً، إن هذا القصد الخبيث الذي دُس في هذه الدعوى الباطلة، ولا يُعرف إلا إذا عُرف أصل هذه الدعوى الخبيثة الباطلة وتدرجها الزمني!!

فمن أوائل من غرس بذرة هذه النبتة الخبيثة الظالمة - في العصر الحديث - المستشرق الفرنسي «لويس ماسينون»^(١)، ثم هو المفكر

(١) في مقالة نشرها عام ١٩٤٩ تحت عنوان: الصلوات

السلام- أبي الأنبياء ومجمع رسالاتهم، وملتقى شرائعهم، وما تطمخ إليه هذه التوجهات - فيما يبدو- من مزج اليهودية والمسيحية والإسلام في رسالة واحدة أو دين واحد يجتمع عليه الناس، ويُخلصهم من بوائق النزاعات، والصراعات التي تُؤدي إلى إزهاق الأرواح وإراقة الدماء والحروب المسلحة بين الناس، بل بين أبناء الدين الواحد، والمؤمنين بعقيدة واحدة“.

وأضاف شيخ الأزهر: ” أن هذه الدعوى مثمها مثل دعوى العولمة، ونهاية التاريخ، و «الأخلاق العالمية» وغيرها - وإن كانت تبدو في ظاهر أمرها كأنها دعوى إلى الاجتماع الإنساني وتوحيده والقضاء على أسباب نزاعاته وصراعاته.. إلا أنها، هي نفسها، دعوة إلى مُصادرة أغلى ما يمتلكه بنو الإنسان وهو: «حرية الاعتقاد» وحرية الإيمان، وحرية الاختيار، وكل ذلك مما ضمنته الأديان، وأكّدت عليه في نصوص صريحة واضحة، ثم هي دعوة فيها من أضغاث الأحلام أضعاف أضعاف ما فيها من الإدراك الصحيح لحقائق الأمور وطبائعها“.

أهداف هذه الدعوى الخبيثة: ومن خلال الاطلاع على مقررات هذه المنظمة وما نشره على صفحاتهم الموثقة ؛ تبين أنهم يهدفون إلى أهداف كثيرة، من أهمها:

١- وأعظم هذه الأهداف هو الترويج لمشروعهم الكبير الذي بشر به الرئيس الأمريكي بقوله «صفقة القرن» وذلك من خلال التطبيع

مشهدا يجسد مفهوم الإخاء بين كافة المؤمنين بالأديان الإبراهيمية الثلاث“.

فهذه لمحة سريعة على تطور ظهور فكرة «الديانة الإبراهيمية» من نشأتها إلى وقتنا المعاصر، ولا شك أن هناك أموراً كثيرة قد صاحبت أطوار هذا المسخ الذي قد لفظه جميع أهل الإسلام من علماء ودهماء، إلا من كان في قلبه مرض وهوى، والله المستعان.

لكن قضى الله وقدر أن ينفي الخبث عن هذا الدين كلما طالته يد التحريف، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: (يَرِثُ هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين)^(١).

فمن هؤلاء العلماء شيخ الأزهر أحمد الطيب حيث قال خلال كلمته باحتفالية بيت العائلة المصرية بمرور عشر سنوات على تأسيسه: « إن هذا الأمر هو محاولة الخلط بين تآخي الإسلام والمسيحية في الدفاع عن حق المواطن المصري في أن يعيش في أمنٍ وسلامٍ واستقرارٍ، الخلط بين هذا التآخي وبين امتزاج هذين الدينين، وذوبان الفروق والقسمات الخاصة بكل منهما.. وبخاصة في ظل التوجهات التي تُنادى بـ«الإبراهيمية»- أو الدين الإبراهيمي، نسبةً إلى إبراهيم -عليه

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١٠ / ٣٥٤)، قال الألباني: صحيح (مشكاة المصابيح، ١٢/١)

- مع الكيان الصهيوني ودخوله واندماجه في دول المنطقة .
- ٢- نزع بغض الكفار والمشركين من قلوب المسلمين.
- ٣- تحسين وتلميع صورة اليهود والنصارى في أعين المسلمين، فقد استقر في النفوس أن اليهود هم المغضوب عليهم والنصارى هم الضالون، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ قال: {اليهود مغضوبٌ عليهم والنصارى ضالٌّ} (١).
- ٤- إلغاء عقيدة الولاء والبراء من حياة المسلمين، فالولاء بعدما كان لأهل الإيمان والبراء من الكفر وأهله، سيصبح في نظرهم الولاء لكل من وافقهم على دينهم الجديد ولو كان يعتقد أن الله ثالث ثلاثة وأن المسيح ابن الله وأن عُزَيْراً ابن الله كذلك، والبراء من كل شخص يقف ضد هذا الدين الجديد ويحذر منه، وهذا ما يناقض صريح قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [آل عمران: ٢٨].
- ٥- التشكيك في ثوابت الإسلام ونصوصه وعقيدته، وجعلها تحت طائلة البحث العلمي الجديد الذي تتحكم في أهواء القوم، فيُقرُّون ما وافق هواهم، ويحذفون ما يخالفهم، بحجة
- الاجتماع وعدم التفريق.
- ٦- تجريد الإسلام من صفة الزعامة والمكانة والهيمنة على الدين كله، وأنه لا فرق بينه وبين الأديان السماوية الأخرى، بل كلٌّ منها يكمل الآخر، ولا دين أفضل من دين، ولا دين ناسخ لأي دين.
- المبحث الأول: جميع الرسل عليهم السلام كان دينهم الإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: الإسلام دين جميع الرسل عليهم السلام.
- الإسلام لغة: تعددت تعريفات أهل العلم لمعنى الإسلام لغة، فهذه بعض تعريفاتهم: قال ابن فارس رحمه الله: الإسلام وهو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء (٢).
- وقال ابن منظور رحمه الله: الإسلام والاستسلام: الانقياد. يقال: فلان مسلم، وفيه قولان: أحدهما: هو المستسلم لأمر الله. والثاني هو المخلص لله العبادة، من قولهم سلم الشيء لفلان أي خلصه، وسلم الشيء له، أي: خلص له (٣). وقال الراغب رحمه الله: والإسلام الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن يناله من ألم صاحبه (٤).
- الإسلام اصطلاحاً:

(٢) مقاييس اللغة (٣/٩٠).

(٣) لسان العرب (٢٠٨٠/).

(٤) المفردات (ص/٢٤٠).

(١) سنن الترمذي (٢٠٢/٥)، قال الألباني رحمه الله صحيح.

وهذا المعنى هو الذي يُحمل عليه الخطاب في الآيات التي ذُكر فيها الإسلام منسوباً للأنبياء السابقين عليهم الصلاة وأتمّ التسليم، ابتداءً من نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبنيه إلى آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٣]. وقال تعالى حكاية عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: ١٠١]، وذكر تعالى كذلك قول نبيه موسى عليه الصلاة والسلام لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: ٨٤]. وها هو نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام ينسب نفسه للإسلام قائلاً: {فَلَمَّا جَاءَتْ قَيْلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ} [النمل: ٤٢]، وقال تعالى عن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٥٢].

قال الكفوي رحمه الله: الإسلام على نوعين: الأول: دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان، وإن لم يكف له اعتقاد، وبه يحقن الدّم. الآخر: فوق الإيمان، وهو الاعتراف (أي: الإقرار بالشهادتين) مع الاعتقاد بالقلب والوفاء بالفعل^(١).

ومما سبق يتبين أن الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، ولا شك أن أول من يدخل في ذلك هم أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فهم الأئمة في الطاعة والإخلاص، وأبعد الناس عن الشرك.

والذي نريده في هذا البحث هو الإسلام بمعناه العام، لا الذي جاء به نبينا محمد ﷺ وهو الإسلام بمعناه الخاص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معرّفاً الإسلام بمعناه العام والذي هو دين جميع الأنبياء بأنه: الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبّد معه إلهاً آخر، لم يكن مسلماً، ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً، والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له، هكذا قال أهل اللغة: أسلم الرجل إذا استسلم، فالإسلام في الأصل من باب العمل، عمل القلب والجوارح^(٢).

(١) الكليات (ص/١١٢).

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص/٢٠٧).

قال ابن تيمية رحمه الله: فهؤلاء الأنبياء وأتباعهم كلهم يذكر تعالى أنهم كانوا مسلمين، وهذا مما يبين أن قوله تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} {آل عمران: ٨٥}، وقوله: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} {آل

عمران: ١٩}، لا يختص بمن بعث إليه محمد بل هو حكم عام في الأولين والآخرين ولهذا قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا * وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنِ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {البقرة: ١١١-١١٢} (١).

وبما أن هذه الورقات الهدف منها أصالة هو بيان ما كان عليه نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام من دين؛ فسيكون الحديث عليه خاصة دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمما قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {البقرة: ١٣١}، ومعنى: {أَسْلِمَ} هنا أي: أخلص.

ومن النصوص التي تؤكد على الإسلام دين بي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ما جاء في سورة البقرة: {وَمَنْ يَرْغُبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} {البقرة: ١٣٠}.

قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: أي: ومن يزهده في دين إبراهيم الحنيفية المسلمة إلا من سفه نفسه ورغب عن ملته. واتخاذ اليهودية والنصرانية بدعة ليست من عند الله، هذا معنى قول قتادة والربيع. وقيل: المعنى: ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا سفهه جاهل بموضع حظ نفسه فيما ينفعها ويضرها في معادها (٣).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢)

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبخاري (١٦٧/١).

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية (٤٥١/١).

المطلب الثاني: القرآن الكريم حَسَمَ الخلاف حول دين إبراهيم عليه السلام:

لم تكن قضية ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام محل جدل يوماً ما، حتى جاء شذمة محاولين التلبيس على الناس زاعمين أن إبراهيم عليه السلام كان على دين جامع لكل القيم الإنسانية التي دعت إليها كل الشرائع والأديان.

فهل كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على هذا الدين المزعوم؟! أم أن هؤلاء يزيفون الحقيقة؟ وماذا قال القرآن حول دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ وهل لا يزال هذا الأمر محل جدال ونقاش؟ وهل كانت الآيات القرآنية حاسمة في الرد على هكذا ادعاء؟

والحقيقة الواضحة التي لا جدال فيها أن القرآن الكريم قد حَسَمَ هذا الأمر وأبانه، فلم يدع مجالاً للاجتهاد أو التخريص، وجاء ذلك صريحاً في أكثر من آية كريمة، منها قوله تعالى حكاية عن نبيه وخليله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٢٨]. أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن سلام بن أبي مطيع هذه الآية: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ} قال: كانا مسلمين ولكنهما سألاه الثبات (١).

وقال البغوي رحمه الله: موحدين مطيعين مخلصين خاضعين لك (٢).

قال الطبري رحمه الله معلقاً على قوله تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٢]، يعني تعالى ذكره بقوله: {وَوَصَّى بِهَا}، ووصى بهذه الكلمة. عني بـ«الكلمة» قوله: {أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة: ١٣١]، وهي «الإسلام» الذي أمر به نبيه ﷺ، وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله، وخضوع القلب والجوارح له (٣).

ومما يؤكد أن دين نبي الله إبراهيم هو الإسلام قوله تعالى: {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ}، قال ابن أبي زمنين رحمه الله: أي: اختار لكم الإسلام (٤).

وقال الواحدي رحمه الله: أي: الإسلام دين الحنيفية {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} أي: الزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت صادفكم عليه (٥).

وبعد أن ذكرنا هذه النصوص الواضحة التي تؤكد حسم القرآن الكريم لقضية ديانة إبراهيم عليه السلام، وأنه كان على دين الإسلام كما نص على ذلك جمهرة المفسرين يصبح من

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن (١/١٦٧).

(٣) تفسير جامع البيان (٣/٩٣).

(٤) تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين (١/١٨٠).

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي (ص/١٣٢).

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٣٤).

العبث أن نصدق أوهام الداعين إلى ما يسمى بالديانة الإبراهيمية فليس ثمة شيء اسمه ديانة ابراهيمية، وإنما هو تدليس على الناس وكذبل وافتراء.

مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { الآية والتي بعدها . وقوله: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ } قال الحسن البصري: كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلام، وإن محمداً رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك^(١).

المطلب الثالث: القرآن الكريم يُبطل دعوى اليهود والنصارى بانتساب إبراهيم عليهم السلام لهم.

يجدر بنا بعد أن بينا بما لا يدع مجالاً للشك أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان على دين الإسلام أن نُفند مزاعم اليهود والنصارى بنسبتهم نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى اليهودية والنصرانية، وذلك من خلال قوله تعالى: { أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أُنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٠]، وفي قوله تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: ٦٧].

وقد خاطب الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين نحلوا نبي الله إبراهيم بأنه كان على دينهم مكذباً إياهم في هذا الزعم فقال جل شأنه: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران: ٦٧].

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: قال الحسن: وذلك أنهم نحلوه أنه كان على دينهم؛ فقالت اليهود ذلك، وقالت النصارى ذلك. فكذبهم الله جميعاً، وأخبر أنه كان مسلماً، ثم احتج عليهم أنه إنما أنزلت التوراة والإنجيل بعده؛ أي: إنما كانت اليهودية بعد التوراة، والنصرانية

قال ابن كثير رحمه الله: ثم أنكر تعالى عليهم في دعواهم أن إبراهيم ومن ذكر بعده من الأنبياء والأسباط كانوا على ملتهم، إما اليهودية وإما النصرانية فقال: { قُلْ أُنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ } يعني: بل الله أعلم، وقد أخبر أنهم لم يكونوا هوداً ولا نصارى، كما قال تعالى: { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا

(١) تفسير ابن كثير (١/٤٥١).

بعد الإنجيل^(١). قال ابن عطية رحمه الله: هذا الخطاب

قال الرازي رحمه الله: اعلم أن اليهود كانوا يقولون: إن إبراهيم كان على ديننا، والنصارى كانوا يقولون: كان إبراهيم على ديننا، فأبطل الله عليهم ذلك بأن التوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعده فكيف يعقل أن يكون يهودياً أو نصرانياً؟^(٢)

قال النسفي رحمه الله: زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه فقبل لهم إن اليهودية

إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمة متطاولة {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدل المحال^(٣).

وبين سبحانه وتعالى في آية أخرى هذه

الحقيقة ووبخ كل من يماري فيها فقال سبحانه

مخاطباً اليهود والنصارى خاصة: {أَمْ كُنْتُمْ

شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ

إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٣].

* * *

(١) تفسير القرآن العزيز، لابن زنين (١/٢٩٤).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (٨/٢٥٣).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (١/٢٦٣).

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية

(١/٢١٣).

يعين ممن يطلب (١).

وقال تعالى آمراً عباده الموحّدين بإعلان دينهم دون أي مدهانة أو مجاملة للكفار: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: ٦].

قال ابن كثير رحمه الله: هذه السورة سورة

البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص فيه، فقوله: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} شمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش. وقيل: إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية (٢).

ومن النصوص التي تأكد على اهتمام القرآن الكريم بالدعوة للتوحيد أيضاً ما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: ١٨]، ففي هذه شهادة من الله سبحانه وتعالى على توحيده، ثم إردافها بشهادة ملائكته وأهل العلم أهل المعرفة بالله سبحانه وتعالى الذين هم أفضل البشر.

قال ابن القيم رحمه الله: تضمنت هذه الآية

(١) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان (١/٤٤٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/٥٠٧).

المبحث الثاني نقض القرآن الكريم لدعوى التعددية الدينية وموقفه من أهل الكتاب وغيرهم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: القرآن الكريم كتاب التوحيد والهداية.

إن قضية التوحيد قضية جوهرية حاسمة، فيها يتميّز أهل الإيمان عن غيرهم، فلا مجال فيها للمجاملة والتميع، ولذلك حَسَمَ القرآن الكريم هذه المسألة في بدايات نزوله، فالقرآن الكريم مَلِيءٌ بِالآيَاتِ الَّتِي الدَّالَّةُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَإِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتَمَتِهِ.

ويتضح جلياً الاهتمام بعقيدة التوحيد والتركيز عليها في أول سورة في القرآن الكريم، وهي سورة الفاتحة وفيها قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]، ولا يخفى ما فيها من دلالة على حصر العبادة والاستعانة به سبحانه وتعالى.

قال أبو حيان رحمه الله: وكرر إياك ليكون كل من العبادة والاستعانة سيقا في جملتين، وكل منهما مقصودة، وللتنصيص على طلب العون منه بخلاف لو كان إياك نعبد ونستعين، فإنه كان يحتمل أن يكون إخباراً بطلب لعون، أي وليطلب العون من غير أن

الكريمة: إثبات حقيقة التوحيد، والرد على جميع هذه الطوائف- التي فصل عقائدها الباطلة قبل هذا- والشهادة ببطلان أقوالهم، ومذاهبهم. وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية، ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية، والحقائق الإيمانية. فتضمنت هذه الآية: أجل شهادة وأعظمها، وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد، بأجل مشهود^(١).

ومما يدل على قبح الشرك وأنه محبط لكل عمل صالح قوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥].

قال القاسمي رحمه الله: أن هذا الكلام وارد على سبيل الفرض. والمحالات يصح فرضها لأغراض. والمراد به تهيج الرسل وإقنات الكفرة والإيدان بغاية قبح الإشراك، وكونه بحيث ينهي عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه؟^(٢).

وقال ابن عاشور رحمه الله: وأعقب بأنهم جاهلون بأن التوحيد هو سنة الأنبياء وأنهم لا يتطرق للإشراك حوالي قلوبهم، فالمقصود الأهم من هذا الخبر التعريض بالمشركين إذ حاولوا النبي ﷺ على الاعتراف بإلهية أصنامهم^(٣).

ولما كان الأمر كذلك لم تكن هناك غرابة أن يكون أول أركان دين الإسلام هو توحيد الله

وإفراده بالعبادة فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: (بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)^(٤)، لَمَّا بعث النبي ﷺ معاذاً إلى أهل اليمن، قال له: إِنَّكَ تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى...^(٥)، ومما ورد في هذا الصدد أيضاً ما جاء من حديث عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ مات يشرك بالله شيئاً دخل النار) وقلت أنا: «مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»^(٦).

وبعد النظر لَمَّا مرَّ من النصوص القرآنية ومعرفة أقوال العلماء حولها؛ يتبين أن قضية التوحيد قضية الإسلام الأولى، والتي لا مجال فيها للتمييع أو المجاملات، فبالتوحيد تعصم الأموال والدماء، وبها يتمايز أهل الجنة وأهل النار، وعليها يكون والولاء والبراء.

المطلب الثاني: القرآن الكريم ينقض دعوى التعددية الدينية بنسخه للشرائع السابقة:

زعم العلمانيون ومن لف لف ليفهم أن البشرية بحاجة إلى الإيمان بوجوب التعددية الدينية، وأن جميع الديانات تملك جزءاً من الحقيقية لا الحقيقة الكاملة، ولا يمكن لدين أن يستقل

(١) التفسير القيم، لابن القيم (ص/١٧٧).

(٢) محاسن التأويل، للقاسمي (٨/٢٩٥).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤/٥٨).

(٤) صحيح البخاري (١١/١)، صحيح مسلم (١/٤٥).

(٥) صحيح البخاري (١١٩/٢)، صحيح مسلم (١/٥١).

(٦) صحيح البخاري (٧١/٢)، صحيح مسلم (١/٩٤).

بالحقيقة وحده، وتحت هذا الوهم يدعون إلى مؤتمرات وندوات تحت عنوان «الحوار بين الأديان» وهو في الحقيقة عنوان باطل، يحمل في مضامينه بطلان ما يدعو إليه، فقد قررنا آنفاً أن الدين واحد من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، فليس هناك ديانات وإنما هو دين واحد وهو الإسلام، وأما اليهودية والنصرانية فلا يقال لها دين إنما هي شرائع جاءت وفق زمن معين لأقوام معينين، وهذا ما صرح به الإسلام وبينه في أكثر من آية من آياته، ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩].

قال البغوي رحمه الله: يعني: الدين المرضي لله الصحيح، كما قال: {وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً} [المائدة: ٣]، وقال: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} [آل عمران: ٨٥] (١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: قال أبو سليمان الدمشقي: لما ادّعت اليهود أنه لا دين أفضل من اليهودية، وادّعت النصارى أنه لا دين أفضل من النصرانية، نزلت هذه الآية (٢).

قال البيضاوي رحمه الله: أي: لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام، وهو التوحيد والتدرع

بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ (٣).
وقال أبو السعود رحمه الله: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ وأنكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل إتياء الكتاب صلة له لزيادة تقييح حالهم (٤).
ومن النصوص التي تؤكد على أن القرآن الكريم ينقض دعوى التعددية الدينية أيضاً ما جاء في سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣].
قال الرازي رحمه الله: اعلم أنه تعالى لَمَّا بَيَّنَّ في الآية الأولى أن الإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام شرع شرعه الله وأوجبه على جميع من مضى من الأنبياء والأمم، لزم أن كل من كره ذلك فإنه يكون طالباً ديناً غير دين الله، فلهذا قال بعده {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} (٥).
ومما جاء أيضاً مؤكداً على أن القرآن الكريم ينقض دعوى التعددية الدينية ما جاء في سورة آل عمران وذلك في قوله تعالى: {قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (٩/٢).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي

السعود (١٨/٢).

(٥) مفاتيح الغيب (٢٧٩/٨).

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤٢٠/١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٢٦٧/١).

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٨٥].
قال ابن عطية رحمه الله: المعنى: قل يا محمد أنت وأمتك: {أَمَّتًا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} وهو القرآن وأمر محمد ﷺ والإنزال على نبي الأمة إنزال عليها، وقدم إسماعيل لسنة، وسائر الآية بين، ثم حكم تعالى في قوله وَمَنْ يَبْتَغِ الْآيَةَ بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْ آدَمِيٍّ دِينًا غَيْرَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وهو الذي وافق في معتقداته دين كل من سمي من الأنبياء، وهو الحنيفية السمحة^(١).

وقال البيضاوي رحمه الله: والمعنى أن المعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بإبطال الفطرة السليمة التي فُطِرَ الناس عليها، واستدل به على أن الإيمان هو الإسلام إذ لو كان غيره لم يقبل. والجواب إنه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره، ولعل الدين أيضا للأعمال^(٢).

المطلب الثالث: موقف القرآن الكريم تجاه

أهل الكتاب وغيرهم:
لاشك أن الاعتزاز بدين للإسلام وعقيدة التوحيد لا يتنافى مع احترام شرائع أهل الكتاب، فهناك فرق بين الاعتراف بوجود هذه الشرائع وبين الإيمان بها.

ولقد كان الإسلام ولا يزال حريصاً على الدعوة إلى التعايش السلمي مع غير المسلمين، ممن لا كيد لهم ضد المسلمين ولا لعقيدتهم وأمنهم، قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ

وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار}^(٣).
قال النووي رحمه الله: وقوله ﷺ {لا يسمع بي أحد من هذه الأمة} أي: من هو موجود في زماني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٦٧/١).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٦٦/٢).

(٣) صحيح مسلم (١٣٤/١).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (١٨٨/٢).

الله فلا نعبد غيره، ونبرأ من كل معبود سواه، فلا نشرك به شيئاً^(٢).

وقال القاسمي رحمه الله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} أي: إلى قول معتدل لا يميل إلى التعطيل ولا إلى الشرك، متفق عليها لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} أي: لا نرى غيره مستحقاً للعبادة فنشركه معه، بل نفرد العبادة لله وحده، لا شريك له، وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، {وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا} أي: كعزير والمسيح والأحبار والرهبان الذين كانوا يحلون لهم ويحرّمون، كما روى الترمذي عن عديّ ابن حاتم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: {تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} أي: لا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون} آل عمران: ٦٤].

وبعد سرد الآيات وبيان موقف القرآن الكريم تجاه أهل الكتاب وغيرهم؛ لا بد من التأكيد على أمور أهمها:

(٢) جامع البيان (٦/٤٨٣).

(٣) سنن الترمذي (٥/١٢٩)، قال الألباني: حسن.

(٤) محاسن التأويل (٢/٣٣١).

وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الممتحنة: ٩].

قال السعدي رحمه الله: أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلّتهم في هذه الحالة لا محذور فيها ولا مفسدة، كما قال تعالى عن الأبوين المشركين إذا كان ولدهما مسلماً: {وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥]^(١).

فالإسلام كان ولا يزال يدعو لجمع الكلمة ونبذ الفرقة، بشرط أن يكون هذا الاجتماع اجتماعاً مبنياً على مرضاة الله تعالى وتوحيده سبحانه، قال سبحانه: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} آل عمران: ٦٤].

قال الطبري رحمه الله: {قُلْ} يا محمد، لأهل الكتاب، وهم أهل التوراة والإنجيل {تَعَالَوْا} هلموا {إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ} يعني: إلى كلمة عدل {بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} والكلمة العدل، هي أن نوحد

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (ص/٨٥٧).

أولاً: أنه لا يلزم من احترام أهل العقائد المخالفة وعدم ظلمهم الموافقة والرضى بما يصنعون من كفر وشرك. ثانياً: وجوب الاعتقاد بأنه لا حظ لهم في الآخرة، ولا سبيل لهم لدخول الجنة ونيل رحمة الله في الآخرة، قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [آل عمران: ٨٥].

قال السمعاني رحمه الله: وحق لمن يبتغي غير دين الإسلام أن يصبح غداً من الخاسرين (١).

قال ابن عاشور رحمه الله: وهذا تأسيس لأهل الكتاب من النجاة في الآخرة، ورد لقولهم: نحن على ملة إبراهيم، فنحن ناجون على كل حال. والمعنى: من يبتغ غير الإسلام بعد مجيء الإسلام (٢).

فالقُرآن الكريم ينقض صراحة دعوى دخول غير المسلمين الجنة، فالإيمان شرط لقبول أي عمل، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٤].

قال الطبري رحمه الله: يعني بذلك جل ثناؤه: الذين قال لهم: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلُ الْكِتَابِ} [النساء: ١٢٣]، يقول الله لهم: إنما يدخل الجنة وينعم فيها في الآخرة، من يعمل من الصالحات من ذكوركم وإناثكم، وذكور

عبادي وإناثهم، وهو مؤمن بي وبرسولي محمد، مصدق بوحدانيتي وبنوة محمد ﷺ وبما جاء به من عندي، لا أنتم أيها المشركون بي المكذبون برسولي، فلا تطمعوا أن تحلوا وأنتم كفار محل المؤمنين بي، وتدخلوا مدخلهم في القيامة، وأنتم مكذبون برسولي (٣).

ومما يبني على كل ما تقدّم يتضح جلياً أن القرآن الكريم قد بيّن موقف المسلمين تجاه أهل الكتاب وغيرهم، وهو موقف كله عزّة بدين الإسلام، وهذه العزّة لا تتنافى مع احترام أهل الكتاب، وتدعو إلى التعايش السلمي معهم.

* * *

(١) تفسير السمعاني (٣٣٨/١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠٢/٣).

(٣) جامع البيان (٢٤٨/٩).

وذلك بالأدلة العقلية والنقلية، ويؤكد أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان مسلماً حنيفاً ولم يكن من المشركين.

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات التي أصدرها البحث. الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه يصل المرء إلى أسمى الغايات، وبعد أن وصل البحث إلى نهايته يجدر بنا أن نضع بين يدي القارئ أهم النتائج التي أصدرها البحث وهي:

١- لم تكن فكرة انصهار الأديان في دين واحد وليدة هذا الزمن المعاصر، بل هي فكرة ضاربة في جذور الزمن من لدن زمن النبوة، والحقيقة التي يجب الإيمان بها أن الإسلام هو دين جميع الرسل عليهم السلام.

٢- الدعوة إلى اجتماع الأديان في دين واحد هي طمس لدين الإسلام وتعاليمه، وتفريغ له من مضامينه وقيمه الراسخة.

ومن أهم التوصيات:

١- التأكيد على المحافظة على العقيدة الإسلامية، ودعم كل ما من شأنه تقويتها، سواء على مستوى الفرد أو المجتمعات أو الدول.

٢- تربية النشء على عقيدة الولاء والبراء، وإقرار هذه العقيدة في المناهج الدراسية لترسيخ هذه العقيدة في نفوس الطلاب في مراحل التعليم المختلفة.

٣- الدعوة إلى ما يسمى زورا «الديانة الإبراهيمية» ما هي إلا محاولة فاشلة لخلق المُسوِّغات والمبررات - بواسطة وسائل الإعلام المأجورة - لإقناع المسلمين بدخول الكيان الصهيوني لمنطقة الشرق الأوسط واندماجه فيه.

٤- القرآن الكريم يؤكد على حقيقة أن الإسلام هو دين جميع الرسل عليهم السلام.

٣- ضرورة مواكبة الأحداث التي تهم المنطقة، وذلك في كتابة البحوث المتعلقة فيها، لا سيما البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم، كما قال الله تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ }.

٤- تبني الجامعات والمؤسسات العلمية المؤتمرات العلمية الشرعية التي تحذر المسلمين من كذبة القرن والتي تدعو إلى دمج الأديان في دين واحد.

٥- القرآن الكريم يُبطل ويردُّ على زعم اليهود والنصارى بانتساب إبراهيم عليه السلام لدينهم

- وقبل الختام أتقدم بالشكر للقائمين والعاملين
بقطاع الأبحاث في جامعة الكويت على ما
قاموا به من دعمٍ ماليٍّ ومعنويٍّ لهذا البحث،
فجزاهم الله عني خير الجزاء.
- وأخيراً وأسأل الله الكريم ربَّ العرش العظيم؛
بمَنِّه وكرَمِه وجودِه وفضلِه وإحسانِه أن يجعل
هذا العَمَلَ خالصاً لوجهه الكريم، ويتقبَّله مني،
ويجعله لي ذُخْراً يوم أن ألقاه، وأن ينفَع به كل
مُطَّلِعٍ وقارئٍ.
- وَصَلِّ اللّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَيَّ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ سَارَ بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَتَا
مَعَهُم بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وآخر دعوانا
أن الحمد لله ربَّ العالمين.
- المراجع:**
١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب
الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن
محمد بن مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث
العربي - بيروت .
 ٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين
أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي
البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن
المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي،
الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
 ٣. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان
أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد
 ٤. جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة:
١٤٢٠ هـ .
 ٥. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد
بن محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار
التونسية للنشر، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
 ٦. تفسير السمعاني، لأبي المظفر، منصور
بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم
وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن،
الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ .
 ٧. تفسير القرآن العظيم، لأبي عبد الله محمد
بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري
المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي، تحقيق:
أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن
مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة -
القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .
 ٨. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل
بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن
محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع،
الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ .
 ٩. التفسير القيم للقرآن الكريم، لمحمد بن
أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم
الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث

- العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم
رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت،
الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ .
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام
المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي،
تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة
الرسالة، الطبعة: ١٤٢٠ هـ .
١١. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد
بن جرير بن يزيد الأملي الطبري، تحقيق: أحمد
محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة:
الأولى ١٤٢٠ هـ .
١٢. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،
للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري
(المتوفى: ق ١٢ هـ)، عرب عباراته الفارسية:
حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب
العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى،
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
١٣. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن
الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١ هـ)،
تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم
للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧ م .
١٤. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية،
لسعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مكتبة
أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الرابعة،
١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م
١٥. زاد المسير في علم التفسير، لأبي
الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق:
- عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي
- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
١٦. سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن
عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر،
ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض،
الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي
الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ .
١٧. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن
الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد
القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ .
١٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل
أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير
بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة
(مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد
عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .
١٩. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج
القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ .
٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب
العزیز، لعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي
المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي
محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة:
الأولى ١٤٢٢ هـ .
٢١. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن
عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران

- العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
٢٢. القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٢٣. مجمل اللغة لابن فارس، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٤. محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٨هـ.
٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، ومحيي الدين
- ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٧. مشكاة المصابيح، لمحمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.
٢٨. معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى: ١٤٢٠هـ.
٢٩. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، تحقيق: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠هـ.
٣١. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، حقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

٣٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢ هـ.

٣٣. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦ م.

٣٤. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د. الشاهد البوشيخي، الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى ٢٠٠٨ م.